

ميشال سليمان والسيادة

أسعد أبو خليل*

هناك من يبحث عن الملك، وهناك من يبحث عن دور، (وهناك من يبحث عن الكنز - من ينسى مهزلة تفتيش محمد شطج عن كنز عثمانى في لبنان؟ كيف لا تُدرج الفضيحة في المنهج الدراسي؟) ميشال سليمان لا يبحث عن الملك، هو يبحث عن دور، لكنه لا يجده. بعد مرور زمن على تسلّم ميشال سليمان أمانة الحكم، من الطبيعي التساؤل عن دوافعه وراء سعيه إلى الرئاسة؟ ماذا كان مبتغاه؟ لماذا قرّر، وكيف، أن يصبح رئيساً للجمهورية بعدما فقدت الرئاسة، بحكم الطوائف وبحكم الطوائف، ما كان لها من بريق ومن سلطات وهيبة؟ تحوّلت رئاسة الحكومة، نتيجة للحلف الذي عقدهت السعودية مع النظام السوري بالنيابة عن أدياتها، السيئ الذكر رفيق الحريري، إلى مركز السلطة، لكن إميل لحود وإلياس الهراوي تحالفا مع النظام السوري هما أيضاً، من أجل تعزيز موقف الرئاسة أو موقعهما بالأحرى. كيف قرّر سليمان أنه يريد أن يصبح رئيساً وهو الذي لم يكن له داعم إقليمي قوي؟ ما الذي جذبته إلى الكرسي أو ما تبقى منها؟

من المعروف أن صعود سليمان أثناء حقبة سيطرة النظام السوري، مثل صعود غيره، لم يكن ليتمّ لولا انتقاء ومباركة ودعم من النظام السوري. ولم يكن معروفاً عنه نزوعه إلى اتخاذ مواقف قويّة أو صلبة. معدنه كان التعامل المعتدل واللين مع كل الناس. طبعاً، اكتشفنا له جانباً آخر ومختلفاً كلياً في وثائق «ويكيليكس»، كما اكتشفنا وجوهاً وجوانب لم نعهدها في عدد من السياسيين. من كان يتوقع أن يكون بطرس حرب (الذي دُجج لإلياس الهراوي خطب تجميل النظام السوري) ناصحاً لإسرائيل بمزيد من الغزو والدمار والاحتياح؟ طبعاً، هناك مثل مروان حمادة الذي لم يفاجئنا بتاتاً في دوره المناصر للعدو الإسرائيلي. كانت المفاجأة لو عارض الغزو الإسرائيلي. وميشال سليمان أتى بنوع من التأييد من الشعب اللبناني لأنه - أي الشعب اللبناني - افتتحت بما فعله الجيش اللبناني في مخيم نهر البارد. وجد الشعب اللبناني البطولة، كل البطولة، في ذلك. دبت الحماسة عند الشعب اللبناني وصدحت الحناجر من كل الطوائف والحركات والأجيال. كان هذا هو الدفع الذي أهّل سليمان للصعود في الجمهورية. طبعاً، لم تُطرح أسئلة مشروعة عن دور ميشال سليمان في حرب تموز. كيف قرّر قائد الجيش يومها أن شاباً متطوعين هم المكلفون بتولي الدفاع عن لبنان، فيما يبقى ضباط الجيش على مقادهم الوثيرة يتابعون الحرب على الفضائيات ويستقر قادة الجيش في زيارة واشنطن وفي الترويج للكذبة أن أميركا في وارد تسليم الجيش بغير عتاء مكافحة الشعب لا الشغف.

ولم يكن واضحاً كيف طبّخ ترشيح سليمان. لا يستطيع هو أن ينفي أن حسني مبارك (قبل أن يلزم النقالة لضرورات صحّيّة) هو الذي أهله وباركه وطرح ترشيحه جدياً مع أولي الأمر في الموضوع اللبناني (أي إسرائيل وأميركا والسعودية وسائر حلفاء أميركا). لم تكن رعاية حسني مبارك له واعدة بالخير أبداً. السعودية زكّته بعد مبارك، ثم قطر وسوريا. لكن هذا لا يشين سليمان بالذات: هذا يشين النظام السياسي اللبناني لأنّ الرئيس اللبناني لا يأتي ممثلاً لإرادة الشعب اللبناني الحرّة. المستعمر انتقى رؤساء لبنان قبل الاستقلال وخلفاء المستعمر والنظام السوري انتقوا رؤساء لبنان بعد الاستقلال، ببساطة شديدة.

مناسبة هذا الكلام هي كلام خطير لميشال سليمان جاء فيه أنه طلب من الأمم المتحدة حماية أعمال التنقيب عن النفط والغاز

(والطحينية) التي ستقوم بها الدولة اللبنانية في البحر الأبيض المتوسط. رئيس جمهورية لبنان وقائد الجيش السابق الذي طلع ببذعة الشعب والجيش والمقاومة (فيما ينقسم الشعب اللبناني حتى على موضوع العداء لإسرائيل، وفيما يقبع الجيش في الثكن ويقوم متطوعو المقاومة بالدفاع عن الوطن)، يعترف للشعب اللبناني بأنّ لبنان غير قادر على الدفاع عن حقّه في مياهه الإقليمية، وهي من ضمن سيادته. رئيس جمهورية لبنان فعل أكثر من ذلك: رفض عرضاً من الفريق المقاوم الذي قاوم إسرائيل بشجاعة وفاعلية تفوّقت على مجموع الأداء العسكري العربي على مرّ العقود، من أجل ردع إسرائيل في البحر كما في البر. خاف ميشال سليمان أن يقبل عرض المقاومة، ويؤدّي ذلك إلى إغضاب الراعي الأميركي. وقد بدا سليمان في لقاءاته مع المبعوثين الأميركيين جزءاً حياهم، وقال أمامهم كلاماً عن حزب الله لم يجرؤ على قوله مزة في العلن. هل هذا يعني أن سليمان لا يستطيع التعبير عن آرائه بحريّة إلا في السرّ وأمام مبعوثين من أميركا؟ لماذا لا يحاول في خطابه أمام الشعب اللبناني التوفيق بين مواقفه العلنيّة والسرّيّة؟

الأسئلة عن دور ميشال سليمان ملحة هذه الأيام. هناك في بعض البلدان من يقدّم خطاب جردة حساب سنويّة - حتى حاكم ولاية كاليفورنيا يفعل ذلك. ماذا عسى سليمان يقول في جردة حساب مع الشعب اللبناني؟ ماذا عساه يقول عن إنجازات سنواته في الحكم؟ صحيح أنه لم يأت ببرنامج طموح، ولم يطرح برامج عمل شاقّة. بدا كأنه أتى دون أن يعرف من أين - بالإذن من إيليا أبو ماضي. بالحكم على سنوات حكمه، يتضح أنّ سليمان يقدّر أشدّ التقدير الرحلات الرئاسيّة والتجوال ذا المراسم. هل نبالغ لو قلنا إنّ سليمان سعى للرئاسة من أجل أن يطير رئيساً للجمهورية؟ إنّ سليمان يحبّ الزيارات الرئاسيّة الرسميّة حتّى جماً. قد يكون أكثر الرؤساء اللبنانيين حباً بالسفر والتجوال - دون أن ننسى تسع أمين الجميل على أعتاب قصر المهاجرين في دمشق.

والطريف أنّ سليمان يفضّل الزيارات السياحيّة. يريد أن يُستقبل بالدفعية وأن يُودّع بقرع الطبول. تلك هي الرئاسة بالنسبة له. زيارات ورحلات إلى دول لا ملفات معها. كان يزور سوريا عندما كان قائداً للجيش، لكنه اليوم محكوم بمحاولة إرضاء فريقين في الحكم. هو يوفّق اعتباطياً: نصريح موال للسعودية وآخر موال لسوريا، وآخر يخدم الغرض الأميركي، وآخر يعود ليكرّر شعار الشعب والجيش والمقاومة والتبؤلة. وسليمان - الحق يقال - يحدّد جداً الذهاب السنوي إلى الأمم المتحدة. يذكر في هذا بالأولاد في العيد. تخاله ينتقي ثيابه بعناية ويضعها في خزانة خاصّة بانتظار التدشين العتيق. وميشال سليمان لم يفوّت هذه الفرصة الصيف الماضي من أن رئيس الحكومة - لضرورات التعبئة الشعبيّة الطائفيّة المذهبيّة - نخّص عليه رحلته وحمل وفده الخاص وعقد اجتماعات رسميّة هناك. لكن سليمان فوجئ بتجاهل أميركي لشخصه. ومع هذا يعرف سليمان كيف يعوّض: عقد اجتماعاً مع رئيس جمهورية جنوب السودان الصهيوني: والرجل تحوّل قبل أن يصل إلى السلطة إلى أداة إسرائيلية. لكن سليمان قرّر أنّ من الضروري أن يجتمع معه لسبب ما.

لا يعتبر سليمان عن ولع بالسياسة بالمعنى اللبناني التقليدي، لكن في ما يتعلق بالعائلة، هو سياسي تقليدي بالكامل. وفي حالته، كما في حالة عون وحالة سليمان فرنجيّة الجد وحالة إلياس الهراوي، الصهر هو سند الظهر وسند العائلة السياسيّة. قد لا يكون سليمان طامعاً بالسياسة ومكاسبها ومنافعها لنفسه (هو مشغول بالسفارات الرئاسيّة وما



ميشال سليمان (أرشيف) - مروان طحطح

بعد الرئاسيّة) لكنّه يريد لها للعائلة. ومن يدري؟ قد يكون ابنه الطيب، لبنانياً آخر ممن «يخترعون» على طريقة وصف جريدة «النهار» اللاعلميّة دواءً ناجعاً للسرطان. قد يريد ميشال سليمان أن يتتبع لنفسه عائلة سياسيّة: لا أحد أفضل من أحد، كما يقال في لبنان. حتى بعد القضاء على بعض عائلات الإقطاع في بعض الطوائف، هناك محاولات حديثة من بعض زعماء الحرب والطوائف الجدد لإنشاء عائلات زعامية جديدة. حتى إيلي حبيقة (واحد من أدوات إسرائيل الكثيرة أثناء الحرب، والذي عاد وتمتّع بتعويض من قبل فريق الحريري والنظام السوري)، خُلف وراءه ابنه زعيماً لحزب يضم حواضر البيت. وميشال سليمان حكم بإرادة خارجيّة ومحاولة مصطنعة وغير مبدئيّة لكسب ودّ جميع الأطراف. يتحدّث أحياناً عن المقاومة وكأنه أهل المقاومة وأم عروسها: يتكلم وكأنّ المقاومة التي أنقذت شرف الوطن برمتها من



المستعمر انتقى رؤساء لبنان قبل الاستقلال وخلفاؤه والنظام السوري انتقوا الرؤساء بعده

التمريغ بالوحل. إنّ مقاومة إسرائيل هي قبل الوطن وبعده، ولولاها لما كان هناك وطن. لولا حرب تموز يا ميشال سليمان لكان جنرالات العدو مقيمين في ثكن الجيش وينامون في مخادع كبار الضباط. كان ميشال سليمان يستفيض في الحديث عن العدو الإسرائيلي في خطبه عندما كان قائداً للجيش، لكنّ خطابه تغيّر بعد ذلك. لعله تلقى تانياً من الراعي الأميركي الذي تجاهله أثناء زيارته الأخيرة إلى نيويورك. عتب عليهم ميشال سليمان: من يلومه وهو الذي يفتح أبواب بعدياً على مصراعها أمام أي زائر من أميركا، حتى لو كان مساعداً لمساعد لأصغر مساعد لوزير الخارجية الأميركيّة. صاحبكم ميشال سليمان بات صدّاحاً في الحديث عن خطر «الإرهاب» وهو يعني به «الإرهاب» الفلسطيني أو الأصولي الإسلامي فقط. لا



يقصد بالإرهاب الإرهاب الإسرائيلي الذي عانى منه لبنان أكثر من أي معاناة أخرى. القائد السابق للجيش، والقائد الأعلى الحالي للجيش، يطلب من الأمم المتحدة صون سيادة لبنان، لأنّ جيش لبنان متخادع في المهمة ولأنّ حضرة ميشال سليمان يرفض طلب الحماية من المقاومة التي شرفت لبنان وتاريخه الدليل والمهين خوفاً من نقمة زعيم التحريض الطائفي والمذهبي في لبنان والذي لا يفعل إلا تنفيذ أوامر آل سعود (كم بدا ناصر قنديل ساذجاً هذا الأسبوع عندما صرّح بأنّ السعودية غير راضية عن أداء الحريري وتصريحاته، وكان للرجل المعين خليفة لوالده من قبل الأمير سلمان سلطة قرار، لكن حلفاء سوريا في لبنان يصزّون على تبرة السعودية من التامر المستمر في موسم الانتفاضات وكان قطر بعيدة عن التوجّه السعودي هذه الأيام).

لكن لميشال سليمان رصيماً سياسياً. يزور جنوب لبنان لا للاطمئنان إلى أهله ومقاومته: يزور جنوب لبنان ليشكر قوات ال«يونيفيل»: أنجيلا ميركل كانت صريحة جداً في كلامها إلى الشعب الألماني عندما قرّرت تعزيز اليونيفيل. لم تداور ولم تزور على طريقة زعماء الطوائف عندما. هل يزور القائد الأعلى للقوات المسلّحة اللبنانيّة جنوب لبنان لتحيّة (لن يغزنا فتح الأبار وإقامة الحفلات ورش المزروعات بالمبيدات: يجب على المحطات الوطنيّة مثل «الجديد» أن تتوقّف عن بثّ الإعلانات الترويجيّة عن ال«يونيفيل») والتي يشترك فيها بغياء عناصر من الجيش اللبناني. كان الجيش اللبناني يريد أن يقول: دول الغرب لا تثق بنا، فقد جلبوا لنا قوّة من إعداد الرجل الأبيض للتحجّس علينا ولتخدم إسرائيل. ويتضمّن إعلان ترويجي ضابطاً لبنانياً يزهو بأنّ الجيش ساهم بترسيم الحدود مع فلسطين المحتلة. يزهو بحماية حدود العدو؟ هو يدعو الشعب اللبناني إلى عدم إقلاق راحة العدو.

ميشال سليمان يزهو أيضاً بتدويل القضاء اللبناني، وتمويل المحكمة الكونيّة أهم عنده من زيادة أجور العمّال. قادة لبنان، مثل الكثير من اللبنانيين، يعانقون عقدة الرجل الأبيض: كل ما يأتي من الرجل الأبيض مبارك ودليل على أهميّة لبنان. هناك في لبنان من سيهتف: «آه، الرجل الأبيض بولينا أهميّة، يا لأهميتنا»، لو انهمرت صواريخ الناتو على

رئيس التحرير إبراهيم المنيب ■ مدير التحرير إيلي شلهوب، بيار ابي صعب
سكرتير التحرير وفيف قانوه ■ العالم بشير البكر ■ فتاح محمد زبيب
وحدة الأبحاث عمر شبابة
المدير الفني إميل منعم

رئيس مجلس الإدارة والمدير المسؤول إبراهيم المنيب
المكاتب بيروت - فسادات - شارع دونات - سنتر كونورد - الطابق السادس ■ تليفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 5963/113
www.al-akhbar.com

الاعلانات Tree Ad 01/61115 03/252224
التوزيع شركة الاوانك 15-11/666314 01/828381 03

الزخار

تأسست عام 1953
تصدر عن شركة «أخبار بيروت»

رئيس التحرير المؤسّس
جوزف سماحة
(2007-2006)

مستشار مجلس التحرير
انسجي الحاج